المناهج التربوية ومساعي إنماء الشخصية
"التجربة الجزائرية من أجل تربية ذات نوعية لصالح الطفولة"

د. لورسي عبد القادر
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
جامعة البليدة2

ملخص:

يراهن العصر الحديث على المناهج لتحقيق الأهداف التي ترسمها البلدان لإعداد أجيالها بما يتماشى وفعالية هذه الأخيرة في بناء الصرح الحضاري لمجتمعاتها. وتعد المناهج حجر الزاوية في كل نظام تربوي وهي الأداة التي تتبلور في ظلها شخصية الإنسان كفرد وكعضو في مجتمع وكمواطن. ونظرا لهذه المكانة التي تحتلها المناهج في بناء الإنسان تزايد الاهتمام بها في مختلف الدول في الوقت الراهن نتيجة تأثير عاملين كبيرين هما الحاجات الوطنية في كل بلد والمنبثقة من آماله وآلامه ومشكلاته وطموحاته من جهة ومطالب العولمة التي أصبحت تطبع واقع التحولات على الصعيد العالمي ،ومنه فلقد أصبح إعداد وتكوين الإنسان أمر ملح وأولوية من أولويات السياسة التربوية الموجهة أساسا نحو بناء هذا الإنسان بما يمليه هذا البناء من كفاءات وتجنيد للطاقات وإزدهار للشخصية ، وفي سياق هذه البسطة تسعى هذه الدراسة بناء على مسح للوثائق المنتجة في الموضوع بكل أصنافها وأبعادها وكذلك الإطلاع الميداني من خلال أدوات الإستكشاف العلمية تقديم التجربة الجزائرية حول المناهج التربوية وبوجه خاص تلك التي وضعت لتربية الطفولة بما تعكسه مضامينها وأسس صياغتها وكيفية تنفيذها وعائداتها بالنسبة للمسار التربوي للمتعلمين.

الكلمات المفتاحية:المناهج، الشخصية، الطفولة، الكفاءات، نظام تربوي، إنماء، ، تربية.

Résumé :

L'enjeu des curricula est d'une importance considérable à l'heure actuelle et l'on mise beaucoup sur eux pour réaliser les objectifs que se fixent les pays pour préparer les générations à participer efficacement à la construction de l'édifice civilisationnel de leurs sociétés. En ce sens les curricula sont considérés comme la pierre angulaire de tout système éducatif et constituent l'instrument au moyen duquel se façonne la personnalité de l'être humain en tant qu'individu, en tant que membre dans une société et en tant que citoyen. Ainsi, vu le statut que requiert les curricula dans la construction de l'homme, l'intérêt qu'on y porte ne cesse d'augmenter dans tous les pays du monde suite à l'impact de deux grands facteurs qui sont les besoins nationaux de chaque pays, qui découlent de ses espoirs, de ses souffrances, de ses problèmes et de ses aspirations d'un côté et de l'autre la mondialisation qui est devenue un élément qui marque la réalité des transformations et changements au niveau mondial. De là l'éducation et la formation de l'homme sont devenues un impératif et une priorité dans la politique éducative orientée fondamentalement vers cette construction de l'homme en fonction de ce qu'exige cette dernière comme compétences, mobilisation d'énergie et épanouissement de la personnalité. Dans cet ordre d'idées, la présente étude vise à partir d'une analyse prospective de documents et vécu de terrain présenter l'expérience algérienne de conception des curricula et particulièrement celui concernant l'enfance avec tout ce que reflète ses contenus, ses fondements, sa procédure d'application et ses résultats pour le cursus éducatif des apprenants.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Mots clés : curricula , personnalité , enfance , compétences , système éducatif , développement , éducation .

www.manaraa.com

مقدمة:

لقد أدت التيارات الفكرية التي يشهدها عالم التربية في الوقت الراهن من خلال نظريات المعرفة ومفاهيم التعلم إلى تطور ملحوظ في كيفية إعداد النشيء، وإذا كانت هذه هي القاعدة فإنّ لكل بلد أن يحدد ويصرح بما يعتمده فيما يتعلق بتربية وتكوين أبنائه ويكون هذا في ظل ثلاثة مناظيرهي تطورالعالم وإحتياجات المجتمع وظروف الواقع، ويقودنا الحديث عند ذكر التجربة الجزائرية في مجال المناهج إلى الإصلاحات التربوية التي شهدتها المنظومة التربوية والتي انطلق التفكير فيها سنة 2000 وتطبيق الإجراءات الأولى الخاصة بها سنة 2002-2003 وتمثل ذلك في وضع تنظيم مدرسي جديد وبرامج وكتب مدرسية جديدة وشبكة تقويم جديدة وبرزت مع ذلك مفاهيم كانت محل نقاش وبحث مستفيض وهي المقاربة بالكفاءات وبيداغوجية المشروع والوضعيات الإدماجية والتقويم –وحمل هذا التغيير الشركاء إلى التساؤل والتفكيرحيث أصبح المعلم منهمكا في إشكالية ممارسته في القسم ورئيس المؤسسة في التسيير الإداري والبيداغوجي والمكون في المخطط التكويني والأولياء منهمكين في تقويم أبنائهم ومصممو المناهج والكتب المدرسية في مساعيهم كمصممين هذا وقد حظيت التربية التحضيرية باهتمام كبير باعتبارها القاعدة في الهرم التعليمي.

وتشير الإحصئيات بخصوص الطفولة في الجزائر في هذا المستوى إلى وجود ما بين 000 600 إلى 000 650 طفلا وطفلة فيما بين الخامسة والسادسة من العمر، أي ممن هم في مرحلة التربية التحضيرية يحتاجون إلى الالتحاق بالأقسام التربوية في القطاعات العمومية المعنية والقطاع الخاص، قصد تهيئتهم تهيئة تربوية ونفسية واجتماعية للإلتحاق بالسنة الأولى من التعليم الإبتدائي، وهم قادرون على التكيف مع نظامها وأنشطتها التعليمية التعلمية بسهولة ويسر وإرساء قواعد بناء شخصية مؤهلة للنجاح والتفوق في ظل المواصفات الحضارية للقرن الواحد والعشرين.

الإشكالية:

تؤكد نتائج دراسات نفسية وتربوية أن السنوات الست الأولى من عمر الطفل تشكل أهمية كبيرة من الوجهتين النفسية والتربوية، فمن الوجهة النفسية فيها تتكون الأسس الأولى لبناء الشخصية، وفيها أيضا حسب دراسات ب.بلومB.Bloom يتكون حوالي 50 % من مستوى الذكاء العام الذي يبلغه الفرد في سن 18 سنة (فخرو، 2002). ومن الوجهة التربوية فإن هذه المرحلة مليئة بإمكانات التعلم، فالطفل لا يستقر له بال في سبيل الاستطلاع واستكشاف العالم المحيط به وطرح الأسئلة التي لا تنتهي على الكبار.

ويعتقد ب.بلومB.Bloom نتيجة لهذا أن الحياة المدرسية تتحدد في مرحلة مبكرة من العمر. ولذا فقد صار اليوم اقتناع أكثر من ذي قبل مفاده أن توفير التربية التحضيرية للطفل في مؤسسات وهياكل متخصصة لم يعد يمليه فقط الطلب الاجتماعي المتمثل في خروج المرأة إلى سوق العمل كما كان الأمر من قبل، بل أضحى المطلب التربوي الأكثر أهمية وإلحاحا من بين المطالب أخرى. ولقد عزز هذا التوجه ما كشفت عنه نتائج الدراسات العلمية لما من دور للتربية التحضيرية –لاسيما إذا كان المربي (ة) مؤهلا تأهيلا عاليا، والمناهج التربوية معدة إعداد جيدا في تنمية وتطوير شخصية الطفل، وفي تهيئته للتكيف مع المدرسة بيسر وإيجابية، وكذا في استمرار تحسن نتائجه المدرسية في المراحل التعليمية الموالية (اليونسكو، 2007).

لقد احتل الاهتمام بتوفير التربية التحضيرية صدارة الأولويات لا سيما في العقود الأخيرة، بالنسبة لمنظمات الأمم المتحدة ذات الصلة بعالم الطفولة، حيث أوصى مؤتمر جومتين (تايلاندا) حول "التعليم للجميع" المنعقد سنة 1990 ب"جعل التربية التحضيرية جزءا لا يتجزأ من المفهوم الشامل للتعليم الأساسي، ويمثل ذلك خطوة في طريق التوصل إلى التعليم للجميع".(بلعربي، 1998). كما أوصى المؤتمر الدولي المنعقد تحت إشراف اليونسكو بدكار (السنغال) سنة 2000 ب"توسيع وتحسين الرعاية التربوية على نحو شامل في مرحلة الطفولة المبكرة".(توصيات مؤتمر دكار).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذن، لقد تزايد الوعي بأهمية التربية التحضيرية في العقود الأخيرة بشكل لافت للنظر، حيث صار توفيرها انشغالا يمثل أولوية في خطط التنمية والتعليم لدى بعض البلدان، ويحتل لدى بعضها الآخر مكانا متقدما على جدول السياسات الوطنية، كما نصت دساتير وقوانين بلدان أخرى على إلزامية التربية التحضيرية (اليونسكو، 2008).

أما على الصعيد العربي، فقد أوصت "خطة تربية الطفل العربي"، الدول العربية ب: "أن تشرف وزارة التربية على رياض الأطفال إشرافا تربويا، وتأمل أن تكون مؤسسات رياض الأطفال ضمن السلم التعليمي. وأن يكون إعداد معلمات رياض الأطفال في كليات جامعية أو معاهد عليا. وأن تدرب المعلمات الحاليات بصورة كافية في أثناء الخدمة بما يمكنهن من تحسين خبراتهن والاطلاع على الجديد في عالم رياض الأطفال. وأن يعد للمعلمات غير المؤهلات تأهيلا مناسبا وأدلة عمل تتضمن ما يمكن أن يفيدهن في تحقيق أهداف المنهاج" (الألكسو، 10:1986).

وفي السياق نفسه انعقد مؤتمر وزراء التربية والتعليم العرب في سبتمبر 2006 بالقاهرة، وأصدر إعلانا سمي: "إعلان القاهرة التربوي حول التربية المبكرة للطفل العربي في عالم متغير". ومن أهم ما جاء في الإعلان وله صلة بموضوع بحثنا هذا ما يأتي:

-بذل الجهود لجعل مرحلة رياض الأطفال مرحلة إلزامية وجزء لا يتجزأ من السلم التعليمي في جميع الدول العربية.

-الاهتمام بتقديم تربية مبكرة ذات جودة عالية للأطفال في الوطن العربي.

-العناية بعمليات الإعداد والتدريب المستر لمعلمات رياض الأطفال.

-العمل على إنشاء معاهد متخصصة وأقسام في كليات التربية تعنى بإعداد معلمات رياض الأطفال" (الألكسو،13:2006).

ومضة تاريخية بخصوص الجزائر:

ورثت الجزائر عند حصولها على الاستقلال سنة 1962 نظام التربية والتعليم الفرنسي الذي كان مطبقا في الجزائر، وكانت مرحلة التربية ما قبل المدرسية مرحلة من مراحل السلم التعليمي لذلك النظام، وكانت تمنح في "مدارس الأمومة". وقد بقيت هذه الأخيرة تؤدي مهامها إلى سنة 1965، حيث اتخذت الحكومة الجزائرية آنذاك ممثلة في الوزير المكلف بالتربية الوطنية قرارا بتحويل "مدارس الأمومة" إلى مدارس ابتدائية، لأن المشكل المطروح آنذاك على السلطة السياسية هو تعميم التعليم الابتدائي، وتوفير مقعد بيداغوجي لكل طفل بلغ سن السادسة. بقي الوضع هكذا، أي إلغاء مرحلة التربية ما قبل المدرسية من هيكل النظام التربوي، إلى غاية سنة 1976 بمناسبة صدور الأمرية 35/76 المنظمة للتربية والتكوين في الجزائر، هو تصور جديد لإصلاح ثوري للنظام التربوي الجزائري، حيث اشتمل هذا التصور على نظام شامل ومتكامل للتربية ما قبل المدرسية، أطلق عليه مصطلح "التعليم التحضيري" يدوم سنتين ويغطي المرحلة العمرية من الرابعة إلى السادسة. لكن نظام "التعليم التحضيري" لم يطبق ميدانيا واكتفت الوزارة الكلفة بالتربية الوطنية منذ 1981 بإنشاء وإحداث أقسام للتعليم التحضيري في بعض المدارس الابتدائية في إطار ما يعرف ب"الخدمات الاجتماعية" لمستخدمي قطاع التربية الوطنية. وكانت نسبة الأطفال المستفيدين من التعليم التحضيري لا تتجاوز 3 % من الشريحة العمرية للأطفال ما بين أربع إلى ست سنوات (وزارة التربية الوطنية، 2000)، واستمر الوضع على هذه الحال إلى السنة الدراسية 2009/2008، باستثناء فتح المجال أمام القطاع الخاص للاستثمار في "التعليم التحضيري" سنة 1992 بموجب المرسوم التنفيذي رقم 92-382 المتعلق ب "استقبال صغار الأطفال ورعايتهم" (الجريدة الرسمية، عدد 75، سنة 1992).

هذا من زاوية الكم، حيث اتسم نظام التربية التحضيرية بنمو محدود من حيث عدد الأطفال المسجلين في التربية التحضيرية من سنة 1981 إلى نهاية السنة الدراسية 2008/2007. أما من الزاوية التربوية فلم يكن الأمر كذلك إذ عرف تطورا وحراكا كبيرين، تجليا في إنتاج وإصدار وزارة التربية الوطنية لمجموعة من البرامج والسندات التربوية الموجهة إلى المعلمين والمربيات في أقسام

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التربية التحضيرية، ورافق ذلك تنظيم عمليات تكوينية وتداريب استفاد منها هؤلاء المعلمون والمربيات وكذلك المفتشون باعتبارهم مسؤولين عن تجديد معلوماتهم أثناء الخدمة ومراقبة أعمالهم. ومن بين أهم تلك البرامج والسندات ما يأتي:

-وثيقة توجيهات تربوية خاصة بالتعليم التحضيري، وزارة التربية الوطنية، مديرية التعليم الأساسي 1984.

-وثيقة مرجعية للتعليم التحضيري، مديرية التعليم الأساسي، 1990

-الدليل المنهجي للتعليم ما قبل المدرسيCRASC، 1996 (مركز البحث في الأنتربولوجيا الاجتماعية والثقافية).

-منهاج التربية التحضيرية والدليل التطبيقي له، مديرية العليم الأساسي، 2004.

-الخصائص النمائية للطفل في مرحلة التربية التحضيرية (3-6 سنوات) وتطبيقاتها التربوية، مديرية التعليم الأساسي، 2006.

-علبة الأدوات، سند تكويني (في إطار برنامج2 MEDA)مديرية التعليم الأساسي، 2008.

أما من زاوية الوصاية على مرحلة التربية التحضيرية في الجزائر فهي على نوعين: وصاية إدارية ووصاية تربوية. تمارس الوصاية الإدارية الجهة المنشئة لفضاء التربية التحضيرية (وزارات، شركات، مؤسسات، هيئات، جمعيات، قطاع خاص)، وهذا من حيث توفير الهيكل المادي وتأثيثه وتجهيزه، وكذلك ممارسة السلطة الإدارية على المعلمين (المربيات) ودفع رواتبهم وتسيير مسارهم المهني، وتمثيل الهيكل أمام السلطات الإدارية التربوية.

والنوع الثاني من الوصاية فهو الوصاية التربوية، وتمارسها الوزارة المكلفة بالتربية الوطنية على جميع فضاءات التربية التحضيرية دون استثناء، وتتمثل على الخصوص في وضع المناهج التربوية ومتابعة ومراقبة تنفيذها، وتحديد مقاييس الهياكل وتأثيثها وتجهيزها وشروط تسجيل الأطفال. بالإضافة إلى المساهمة في رسكلة وتكوين المعلمين / المربيات أثناء الخدمة لتدريبهم على المناهج والوسائل الجديدة، زيادة على وظيفة التوجيه والرقابة المسندة إلى مفتشي التعليم الابتدائي.

هذا وقد شهدت سنة 2000 تنصيبت اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية ومن جملة ما أوصت هذه اللجنة "تعميم التربية التحضيرية" بإشراك القطاعات العمومية والخاصة والمجتمع المدنيوفي شهر أفريل 2002، درس مجلس الوزراء توصيات اللجنة وقرر تعميم التربية التحضيرية بصفة تدريجية على الأطفال في سن الخامسة من العمر، وظهر تحديد هذه التربية دقيقا في وثيقة الإطار المرجعي العام للبرامج 2003 حيث جاء في الجزء المتعلق بتنظيم مراحل التعليم ما يلي: إن التكفل بالتربية التحضيرية وتعميقها التدريجي خاصة لفائدة الأطفال الأكثر حرمانا يمثل عاملا أساسيا في ديمقراطية التربية، كحق معترف به يضمنه الدستور، وأمرية 16 أفريل 1976 وطنيا، وكذا الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل ،يجب التمييز بين التربية التحضيرية والتعليم المدرسي، في مجال تنظيميه وسيره، وأهدافه وبيداغوجيته استنادا إلى معطيات علم نفس المعرفي وعلم النفس الطفل.

تهدف التربية التحضيرية أساسا إلى إدماج الطفل اجتماعيا، تلميذ التعليم الأساسي مستقبلا وإن مهمة التربية التحضيرية تكمن في مساعدة كل طفل على النمو وعلى تحقيق استقلاليته، واكتساب مواقف وكفاءات تسمح له ببناء التعلمات الأساسية ، إنها تعتمد على قدرة الطفل الحيوية جدا في هذه السن على التقليد والابتكار، وعلى متعة النشاط واللعب بهدف تقوية التواصل في التعلم، تنويع خبراته وإثراء فهمه، فهي حريصة على وتيرة تطوره ونموه.

وفي شهر أفريل 2005 أعلن الوزير الكلفبالتربية الوطنية عن الشروع في تطبيق قرار مجلس الوزراء وحدد السنة الدراسية 2009/2008 بداية لذلك. وبالفعل فقد استقبلت أقسام الطفولة بالمدارس الابتدائية وحدها في تلك السنة 422312 طفلا وطفلة ممن سنهم ما بين الخامسة والسادسة من العمر، أي بنسبة تغطية قدرها 65.8 % (وزارة التربية الوطنية، 2010).

المنهاج ودلالته:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عندما نتحدث عن المنهاج فإنّنا نتموقع مباشرة في حقل التخطيط للتربية والحديث عن التخطيط هو أيضا تموقع في ذلك الفرع المتعلق بهندسة التربية والذي يستهدف ترشيد عملية تطوير التعليم بتقليص أخطار الإهدار والعمل على إيلاء العناية للفحص المنتظم للتوجهات والغايات.

بمجرد أن تكون هناك مدرسة يعني بمجرد ما ينشئ مجتمع ما مؤسسة مكلفة بالتربية هناك بالضرورة تخطيط، إذ يجب بالتأكيد أن نقرر ما الذي نعلمه فيها ونقرر التراتبية والنظام الذين حسبهما يقدم ويوزع المضمون التعليمي عبر الزمن.

هذا ويجري التخطيط في مستويات عدة حيث نلج في الخطوة الأولى في المستوى السياسي وذلك بمجرد ما يتعلق الأمر بتحديد الغايات والتوجهات المنوطة بالنظام التربوي وأجرأتها بمخططات تدمج تجنيد الموارد الوطنية ومحاولة الاستجابة لحاجيات المجتمع في شموليته ونجد أنفسنا بالترابط مع ذلك على المستوى الإداري لما يتعلق الأمر بترشيد وتنظيم وتوزيع المواد والمحتويات التعليمية وفي هذا المستوى تتخذ القرارات المتعلقة بالمضمون الذي نعلمه، أي قرارات ماذا نعلم، كما نجد أنفسنا كذلك في المستوى البيداغوجي لأنّ التعليم هو أيضا تخطيط من حيث أنه يوزع في الزمن وحسب منطق تدرج ديداكتيكي معين للمضامين التي هو مسؤول عن تقديمها.

إنّ عبارة المنهاج في الإجماع الراهن أخذت معنى واسعا وأصبحت تشير إلى منتوج النشاط التخطيطي المطبق في التربية، وحسب Vivane de Landsheere 1992 فإنّ المنهاج هو مجموع الأعمال المخططة في ضوء المبادئ التربوية القاعدية والتعميمات التي نالت تصديق التجربة العملية، وهو يتضمن:

- تحديد الأهداف التربوية أو التكوينية
- محتويات التعلمات المراد إنجازها
- استراتيجيات التعليم والتعلم
- المحيط البشري والمادي (مربون، مكونون، مساعدون، تربويون، تجهيز...)
- بنايات النظام التربوي أو التكويني
- التقويم

وللتذكير فإنّ للجزائر جهاز وطني يتولى إعداد مرجعيات بناء المناهج التربوية وكذلك اعتمادها، بعد إنجازها من لدن مجموعات متخصصة في المواد التعليمية هذه المجموعات متفرعة عن الجهاز الوطني (اللجنة الوطنية). تتولى كل مجموعة إعداد مناهج كل مادة تعليمية بشكل عمودي، أيمن مستوى التربية التحضيريةيليها السنة الأولى ابتدائي وصولا السنة الثالثة ثانوي (البكالوريا)، بقصد تجسيد الانسجام في مصفوفة شبكة المفاهيم عموديا وأفقيا. ومثلما لكل مادة تعليمية مجموعة متخصصة، فإن للتربية التحضيرية مجموعة متخصصة أيضا لكنها تصمم وتبني كافة النشاطات التربوية التي يتضمنها المنهاج لخصوصية المرحلة التربوية. تتشكل المجموعة من أساتذة جامعيين ومن ممارسين في الميدان. تولت هذه المجموعة إنجاز منهاج التربية التحضيرية وتجريبه ميدانيا ثم تقويمه وإجراء التعديلات الضرورية عليه.وبعد ذلك وضع موضع التطبيق الميداني.وكانت وزارة التربية قبل أن تضعه موضع التطبيق نظمت دورات تدريبية للمفتشين (المشرفين التربويين)، وهم بدورهم نظموا دورات تدريبية للمعلمين (المربين) الذين يقومون بتطبيقه.بدأت الدورات التكوينية سنة 2005، أي بثلاث سنوات قبل الانطلاق في تعميم التربية التحضيرية بشكل تدريجي ،ومازالت هذه الدورات مستمرة.

مسار تطور المناهج في الجزائر:

بشكل عام هناك ثلاث محطات أو مراحل كبرى في مسار تطور المناهج شهدها النظام التربوي في الجزائر في كل واحدة منها تاريخ مفتاحي أو بعبارة أخرى مفصلي وهي على التوالي:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المرحلة الأولى وتاريخها المفتاحي 1976 المطابق لصدورالأمرية رقم 37/76 المنظم للتربية والتكوين تلتها المرحلة الثانية وتاريخها المفتاحي 1980 المطابق لإقامة التعليم الأساسي المتعدد التقنيات، أما المرحلة الثالثة ففيها ثلاثة تواريخ هامة هي: سنة 2000 التي شهدت بداية التفكير في الإصلاحات مع إقامة اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية، ثم سنة 2003 انطلاق الإصلاح وسنة 2008 وهي السنة التي صدر فيها القانون التوجيهي حول التربية الوطنية رقم 04/08 المؤرخ في 2008/01/23.

هذه المراحل الثلاث تطابقها ثلاث مراحل لمدخل المناهج:

المرحلة الأولى طبعها المدخل بالمحتويات "المواد" وفيه نجد العمل حول موضوعات كبرى حيث تكون المادة المدرّسة موزعة إلى مقاييس بمعنى مجموعة من المفاهيم مرصودة للاكتساب، هذه المرحلة تطابق مقاربة مواداية بحتة للتعليم والتعلم.

المرحلة الثانية وتمحورت حول المدخل بالأهداف أي مناهج منظمة حول أهداف محددة، مخططة على أساس تحليل حاجات المتعلمين، وفي هذا التناول أصبحت المناهج مكيفة أكثر لعمر المتعلمين ولمكوناتهم النفسية، وفيها أصبحت ملامح الدخول والخروج محددة ومفتوحة على الاستمرار في المسار التربوي. اتسمت هذه المرحلة بانشغال أساسي تمثل في البحث عن الانسجام الأفقي والعمودي.

المرحلة الثالثة وهي مرحلة المدخل بالكفاءات وفيها أصبح انتظام المناهج حول تنمية الكفاءات لدى المتعلمين، وانصب المجهود حول المعارف والعلاقة التي تربطها ببعض وكذا حول تجنيد المعارف في وضعية محددة بدقة، ولقد أصبح البحث عن الفعالية في عمليتي التعليم والتعلم هو المقصد الأكبر.

هذا وبالنظر إلى تعددية المواضيع وكذا اعتبار اتساع مجالات المعرفة فإنّ تحدي المناهج الجديدة تمثل في جلب المتعلمين نحو معارف نفعية بواسطة التحكم في الموضوعات المختلفة. فالمناهج هي نقطة الانطلاق بالنسبة لتعليم أكثر إجرائية موجه نحو تطوير كفاءات تستخدم مباشرة في الحياة الاجتماعية للمتعلمين بعد اكتسابها.

وفي هذا السياق فإنّ المقاربة بالكفاءات تترجم انشغال تفضيل منطق التعلم المتمركز حول المتعلم وحول أفعاله وردود أفعاله تجاه وضعيات مشكلية، وفي ظل ذلك تم تصميم وهيكلة المناهج وفق هذه المقاربة وبالأخص ما يتعلق بالجوانب التالية:

- تحديد كفاءات مستهدفة في المنهاج
- اختيار وضعيات تعلم وفق هذه المقاربة
- كيفيات تقويم حسب هذه المقاربة أيضا

ويعتبر انبثاق مفهوم الكفاءة في علوم التربية كعلامة على تغيرات ابستمولوجية، فهو يحيل على البناء الداخلي وعلى تجنيد القدرات وانبعاث الإرادة التي يتوفر عليها الفرد بغرض تطوير ما يملكه بشكل مخصوص، باعتباره كائنا "فعالا" و"متميزا" و"مستقلا". هذا ويندرج مفهوم الكفاءة في إطار تدعيم تصورات العلوم المعرفية.

تعريف: الكفاءة هي مجموعة مندمجة من القدرات تسمح بشكل تلقائي بتناول وضعية والاستجابة لها بوجاهة. وما يميز الكفاءة هي أنها تمارس في عائلة من الوضعيات المشكلية، فالكفاءة تسمح بالقيام بالسلوك المطلوب بصفة تلقائية ووجيهة لمواجهة مجموعة من الوضعيات لحل المشكلات التي تطرحها.

إن التمييز الحقيقي بين القدرة والكفاءة يتموقع في مستوى الوضعيات التي تمارس فيها، فالكفاءة لا يمكن أن تبدأ وتظهر وتوجد إلا عند مواجهة وضعية ذات دلالة، بمعنى تفيد شيئًا معينًا ومن مواصفاتها كما هو مبين في كسافي روجيرزXAVIERROGIERS,2004أنها:

- تتطور حسب محور الوضعيات
- تحدد أو تضبط في وقت معين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- ذات علاقة بفئة محددة من الوضعيات
- فعل قصدي يدخل في إطار نشاط مضبوط
- تجنيد مجموعة مندمجة من المصادر وبالأخص القدرات
- تخصيصها يكون بعبارات نوعية مثل تنفيذ أو إنجاز عمل.

- محاور مضمون المنهاج:

منهاج التربية التحضيرية كغيره من المناهج التعليمية في الجزائر مبني وفق المقاربة بالكفاءات، ويشتمل على تسعة محاور هي: لماذا منهاج التربية التحضيرية ؟ ملمح تخرج طفل التربية التحضيرية، الكفاءات المحددة لمرحلة التربية التحضيرية، المساعي والاستراتيجيات التي تسلك في ممارسة النشاطات التربوية، مجالات النشاطات التعليمية / التعلمية، الزمن البيداغوجي، الدعائم والوسائل، وتقويم نمو الأطفال.وتجنبا للإطالة سأكتفي في هذا المجال بتقديم مقتضب في هذا الموضوع مركزا أساسا علىالملمح، الكفاءات والمساعي والاستراتيجيات.

عرف المنهاج الملمح بأنه:"جملة من الكفاءات التي يكتسبها الطفل بالاعتماد على وضعيات وأنشطة تعلمية من خلال المجالات التي ينجزها أو يتصرف فيها في نهاية مرحلة التربية التحضيرية " (وزارة التربية الوطنية، 2004 :6). وتبرز صورة تحقيق الملمح في مجالات شخصية الطفل كالآتي:

في المجال الحسي / الحركي:

– ينفذ مجموعة من الحركات الكبيرة والدقيقة بتناسق ومرونة.

–يتعرف على إمكاناته الجسمية وحدودها .

في المجال الاجتماعي / الوجداني:

–يتبادل مشاعره مع الآخر.

–يتحكم في رغباته

في المجال اللغوي / التواصلي:

–يتحدث بصفة سليمةيستعمل الجمل الاسمية والفعلية المفيدة متجاوزا استعمال الكلمة /الجملة.

في المجال العقلي/ المعرفي:

–يظهر اهتمامه وفضوله بمكونات المحيط الاجتماعي والفيزيائي والبيولوجي والتكنولوجي.

–يوظف تفكيره (يستكشف، يمارس، يحل المشكلات)..

–يبني مفاهيم:الزمان، المكان، الحجم، الوزن، الشكل (وزارة التربية الوطنية 2004).

أما بشأن الكفاءات فإن المنهاج يحتوي على ست كفاءات مستعرضة على أطفال التربية التحضيرية تحقيقها وحدد لكل كفاءة مؤشرات الإنجاز.والكفاءات الست هي:

يثبت ذاته واستقلاليته، يتواصل بمختلف الوسائل والأدوات ، يوظف استراتيجياته لاستكشاف مكونات محيطه ، يوظف المجال الحسي / الحركي في مختلف وضعيات التعلم ،يتفاعل مع الغير ، ينجز مشروعا ، وفيما يتعلق بشق المساعي والاستراتيجيات فإن تنفيذ منهاج التربية التحضيرية يستلزم اختيار مساع واستراتيجيات تكون ملائمة للكفاءات المستهدفة ولسيرورة عملية التعليم /التعلم في الطفولة المبكرة. فالنشاطات التربوية في هذه المرحلة تهتم بعملية التعلم والنمو أكثر من اهتمامها بنتائج التعلم. ومن المساعي والاستراتيجيات التي أوصى المنهاج بها:اللعب بمختلف أنواعه وأهدافه، حل المشكلات، المشروعات، وضعية مشكل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أثر المناهج في إنماء الشخصية:

لعلّ عالم التربية البلجيكيجيلبرتدولندشير .DE LandsheereGمن أهم علماء التربية الذين أدركوا أن أي إصلاح حقيقي لأي نظام تربوي ينبغي أن ينطلق من مرحلة ما قبل المدرسة قبل المراحل التعليمية الأخرى. ويشير أن من أهم ما يتناوله الإصلاح كأولوية مكونين رئيسيين من مكونات نظام التربية ما قبل المدرسة وهما: منح تكوين عالي المستوى للمربين (يات) وإنجاز مناهج تربوية ذات مواصفات عالية الجودة. وقد قاده الاهتمام بمرحلة ما قبل المدرسة إلى القيام بعدة دراسات في هذا الميدان كان من نتيجتها ذلك المنحى العملي الذي حدد فيه وبدقة أهم المهام والواجبات التي على مربي (ة) التربية التحضيرية أن يمارسها مع الأطفال الذين يتولى تربيتهم ورعايتهم في مؤسسات وهياكل التربية التحضيرية، بهدف إشباع مطالب وحاجات الأطفال في هذه المرحلة المليئة بإمكانات التعلم والنمو من جهة، وتحقيق انتظارات وطموحات المجتمع من جهة أخرى. وتغطي واجبات المربي (ة) ومهامه التي حددهادولندشيرDE Landsheere سبعة مجالات رئيسية هي:

إيجاد جو عاطفي في المدرسة يدعو للشعور بالأمان ، هيئة جو مناسب للنمو العقلي والوجداني ونمو المهارات ، إثراء التجربة الاجتماعية للطفل ،إثراء الخلفية الثقافية للطفل ، تفعيل النمو اللغوي للطفل وإثراؤه ، مساعدة الطفل على اكتساب المفاهيم الأساسية كالوقت والمكان والكميات ، اكتساب الأطفال الاستعدادات اللازمة لمرحلة التعليم الابتدائي. (توق، 1998).

احتلت المهام والواجبات ذات الطابع النفسي التي ينبغي أن يؤديها مربي (ة) التربية التحضيرية مركز الصدارة في قائمة المهام من وجهة نظر DE Landsheereوهذا الترتيب للواجبات والمهام لم يأت اعتباطيا، بل هو ترتيب مقصود حين يمعن فيه النظر. وفي نظرنا فإن فضاءات التربية التحضيرية يمكن أن تكون معرقلة للنمو السوي ومهددة له، كما يمكن أن تكون مثيرة ومحفزة للنمو السوي ولتفتح الشخصية وازدهارها تبعا لنوع الخبرات النفسية إلي يتعرض لها الطفل.

إن من المهام الأساسية للمربي (ة) إحاطة الطفل في فضاءات التربية التحضيرية بمناخ نفسي يشعر فيه بالدفء العاطفي والحنان والطمأنينة والأمان، وتجنيبه كل ما يسبب له الخوف والقلق وعدم الإرتياح، ذلك أن طفل التربية التحضيرية شديد الإحساس مرهف الشعور، محب للفضاءات التي يشعر فيها بالسرور والفرح ويتعلق بها وبالمربي (ة) فيها، لأنها تشبع عنده الحاجة إلى الأمان وكذلك الحاجة إلى الحب والإنتماء حسبما تؤكد ذلك النظرية الإنسانية لماسلوMaslow. وهكذا فإنه من الضروري أن يفتح المربون فضاء للتفكير أين يمكن للمتعلمين معايشة تجربة حياتية في كنف الظروف الطفولي، أن يخوضوا عمار الطرح السؤال واللعب الجماعي عندها يمكن للمدرسة أن تصبح مكانا لبناء المعرفة، وفضاء لحب المعرفة (LÚCIA HELENA GAZAVIN ZABATTO PULINO, 2012) ، أما المهام والواجبات الواردة في المراتب من الثانية إلى الخامسة، فهي مهام ذات غاية واحدة تخص عمل المربي (ة) على توفير وتهيئة البيئة والوسائل والمناخ المناسب لتفتح طاقات الطفل الكامنة والمثيرة أيضا لقدراته في مسعى لإنماء شخصيته بشكل متوازن في أبعادها المختلفة: الجسمية (الحسية/الحركية)، المعرفية/العقلية، الاجتماعية/الوجدانية، التواصلية/اللغوية.

ومن الضروري أن نشير إلى أن بعد إنماء الشخصية هو غاية من ثلاث غايات أخرى حددها تقرير اليونسكو الموسوم: "العلم ذلك الكنز المكنون" الذي أعدته اللجنة الدولية للتربية في القرن الحادي والعشرين، والذي أشرف عليه جاك دلور Jaques Delorsوصدر في النصف الثاني من العشرية الأخيرة للقرن العشرين والغايات الأربع هي: تعلم المرء ليكون، التعلم للمعرفة، التعلم للعيش مع الآخرين، والتعلم للعمل. والغاية المقصودة في هذا الصدد هي: تعلم المرء ليكون. ويلفت التقرير النظر إلى أن تلك الغايات الأربع لا تستأثر بها مرحلة تعليمية معينة دون أخرى "لا بلد دون سواه، إنها غايات كونية. وفيما يخص غاية تعلم المرء ليكون" فإنها تعني إعطاء الأولوية في العملية التربوية في مرحلة التربية التحضيرية إلى تنمية الأبعاد المكونة لشخصية الطفل إلى أقصى ما تسمح به استعداداته.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتطلب رعاية النمو الجسمي (الحسي/الحركي) وتربيته من مربي (ة) التربية التحضيرية معرفة عملية بكيفية تهيئة البيئة داخل القسم وخارجه في فضاء المؤسسة التربوية لممارسة الأطفال نشاط بدني ذي طابع اجتماعي/انفعالي من جري وقفز وتسلق وتفكيك وتركيب وتوازن وتزرير الملابس وتناول الطعام دون تلطيخ الثياب ومسك القلم وتخطيط أشكال مختلفة. تدريب الطفل على هذه المهارات تدريجيا بما يحقق التآزر الحسي/الحركي والسيطرة على المهارات الحركية الغليظة والدقيقة. ولا شك أن التحكم في أداء تلك المهارات الحركية يشعره بالقدرة على الانجاز والثقة بالنفس والارتياح. كما تؤدي المهارات الحسية /الحركية التي تكلل بالنجاح والسرور إلى: "تثبيت هذه المهارات، فيجمع الطفل عددا كبيرا منها والاحتفاظ بها واستدعائها في المواقف التي تدعو الحاجة إلى توظيفها، وهذه الفعالية تسهم في نمو الذاكرة الحركية والفعالية العقلية".

أما في المجال المعرفي/العقلي، فإن من واجبات ومهام المربي (ة) أن يرشد الطفل إلى كيف يلاحظ ويقارن ويميز ويصنف ويرتب ويستكشف المحيط، وكيف يتعلم بنفسه، وكيف يحلل ويعلل ويفكر، أفضل بكثير من أن يحشو ذهنه بمعلومات قد لا يفهمها وقد لا يعرف كيف يوظفها.إن رأسا حسن الصنع أفضل من رأس مملوءة، على حد قول المربي مونتنيMontaigne وفيما يخص المجال الاجتماعي/الوجداني، فيتلخص دور المربي (ة) في عملية تنشئة وتطبيع الطفل اجتماعيا من خلال امتصاصه (تشربيه) ثقافة المجتمع من لغة ودين وقيم واتجاهات ومعايير أخلاقية وضوابط سلوكية إن اكتساب الطفل لأدوات الاندماج مع جماعات اللعب ومع الأقران في مؤسسات التربية التحضيرية وكذلك مع الكبار لما يحفزه على المبادأة وعلى الإحساس بالثقة كما يرى إريكسون Erikson، وهما خاصيتان مهمتان للتعلم ولبناء الهوية الذاتية. واللغة باعتبارها مكونا من مكونات ثقافة المجتمع، فهي أداة للتفكير وحاملة للثقافة، ووسيلة تواصل، فعلى عاتق المربي (ة) تقع مهمة تهيئة البيئة المناسبة لاكتساب الطفل مستوى من الكفاءة اللغوية يقترب من مستوى لغة المدرسة، لامراء في أن الكفاءة اللغوية لدى طفل التربية التحضيرية ستيسر له عملية التفاعل والتحاور مع الأقران والكبار مما سيخفف لديه من ظاهرة التمركز حول الذات كما يصفها بياجيه Piaget ويساعده ذلك أيضا على التكيف مع نشاطات التعلم الإيجابية في مراحل التعليم الموالية ، ولتأكيد دور مربي (ة) التربية التحضيرية في تهيئة الظروف المساعدة على نمو شخصية الطفل بصفة عامة ونموه الحسي/الحركي والاجتماعي واللغوي، نقتبس من ملخص قام به جرسيلدJersild لعديد الدراسات التي تناولت تأثير الخبرات التي يتلقاها الأطفال الملتحقون بالتربية التحضيرية على بناء الشخصية، حيث يظهر هذا التأثير في: الزيادة السريعة في قدرة الطفل اللغوية وحصيلته اللفظية، وفي تمكنه من كثير من المهارات الحركية ومن الاتساق الحسي/الحركي. كما يبدي الطفل بفضل تلك الخبرات نضجا اجتماعيا أكبر يتضح في نزعته إلى تأكيد الذات والاستقلالية والتفاعل الاجتماعي مع اقرانه، وإلى التعاون والصداقة والتنافس والتعاطف، وإلى نمو صورة أوضح للذات وأكثر ثقة فيها" (الكسو، 1986).

الخاتمة:

يعتقد النفسانيونوالمربون والأولياء عند التحاق الأطفال بأقسام التربية التحضيرية أن الهدف من ذلك هو تهيئتهم تهيئة نفسية وتربوية تؤدي إلى خلق الاستعدادات اللازمة لديهم للتكيف إيجابيا مع نظام المدرسة الابتدائية ومع نشاطات التعليم والتعلم فيها بسهولة ويسر. ولا غرو في ذلك فالنشاطات الممارسة في فضاءات التربية التحضيرية من لعب وشغف بالاستماع إلى القصصالمرواة وتصفح الكتب المصورة والناطقة والتعامل معها، ونشاطات الرسم والتلوين والقص والتخطيط والغناء والرقص....بالإضافة إلى النشاطات الأخرى التي تمارس أيضا عن طريق اللعب وهي : النشاطات اللغوية (ما قبل القراءة، ما قبل الكتابة، ما قبل الحساب)،فكلها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تسعى إلى تحبيب الطفل وتشويقه إلى المدرسة من جهة، وتهيئته للتكيف بيسر ومن غير عوائق وصعوبات تعليمية منذ السنة الأولى من التعليم الابتدائي. وفي هذا السياق يجدر بنا أن نشير إلى أن كثيرا من نتائج الدراسات التجريبية المقارنة قد بينت أن التربية للتحضيرية تأثيرا إيجابيا على مسار تعلم الطفل ويمتد إلى ما بعد السنة الأولى ابتدائي بعدة سنوات. وهذا ما شجع كثيرا من البلدان في العقود الأخيرة من القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين على تعميم التربية التحضيرية، بل ومن هذه البلدان من سن قوانين بجعلها مرحلة إلزامية كالتعليم الأساسي (اليونسكو، 2007).

وعلى صعيد آخر فقد أجرى تلوسيسيTolocici نقلا عن (بدر، 2002) دراسات مقارنة للوقوف على مدى تأثير الالتحاق بالتربية التحضيرية على تقدم الأطفال بنجاح في المراحل الدراسية الموالية، ومن أهم ما أسفرت عليه نتائج دراساته ما يلي:

- تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة في إظهار الميل نحو الدراسة، وهذا من خلال متابعة الدراسة، والاقبال على الدروس والعمل المتقن في أداء الواجبات الدراسية.
- زيادة مستوى النمو اللغوي عن أفراد المجموعة التجريبية بالمقارنة مع أفراد المجموعة الضابطة، وتمثل ذلك في غنى الرصيد اللغوي ودقة التعبير.
- تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة في ميدان التفاعل مع النشاطات التعلمية/التعليمية.

ومجمل القول أنّ المناهج تسعى إلى إنماء الشخصية من زوايا عديدة ومترابطة فهي ترسي الاعتزاز بالانتماء الوطني، حيث ينشأ الطفل على حب الوطن والتعلق به ومعرفته والوعي بموقعه في العالم وتطور القدرة على التفاعل الإيجابي مع المحيط القريب والبعيد وهي القدرة التي يترجمها الوعي بالمحيط الاجتماعي (عائلة، حي، مجتمع) والوعي بالمحيط الطبيعي والبيئي والتعرف على أسس العلاقات الاجتماعية وكذا التفتح على الغير.

كما تبني الثقة في النفس وتبعث الجرأة في السلوك والمواقف حيث يتمكن الطفل من تقدير إمكانياته الذاتية الحقيقية والتصرف وفقها والوعي بأنه قادر على ما هو أفضل والتعبير عن قناعاته والدفاع عن مواقفه وفي نفس المسار فهي تطور القدرة على النقد والحجاج والبرهنة المتمثل في بناء مواقف شخصية والمحاججة لها ومناقشة الآراء المخالفة والاستعداد للنقد الذاتي وتفسح الباب واسعا للحس الفني والجمالي بتمكين الطفل من التعرف على أشكال التعبير الفني وتذوقها وأبعد ما يصبو إليه المنهاج هو تطوير القدرة على الابتكار التي تتجلى في الإحساس بالمشاكل والظواهر وإبداء الاستعداد لمواكبة التغيرات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المراجع:

1. فيولا فارس البيلاوي (1986): الأسس النفسية والاجتماعية لبناء مناهج رياض الأطفال في الوطن العربي: رياض الأطفال العربي الواقع والطموح، الالكسو، تونس.
2. عائشة بلعربي، (1998): التعليم قبل المدرسي في الوطن العربي (واقع وآفاق) في: رؤية مستقبلية للتعليم في الوطن العربي، الالكسو، تونس.
3. سهام محمد بدر (2002): اتجاهات الفكر التربوي في مجال الطفولة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
4. محمد علي فخرو (2002): التعليم الأساسي في الطن العربي: الرؤية المستقبلية، في التعليم الأساسي في الوطن العربي (آفاق جديدة)، دار الفارس ، الأردن.
5. محي الدين شعبان توق (1998): تربية المعلمين: مدخل للإصلاح، في رؤية مستقبلية للتعليم في الوطن العربي، الالكسو، تونس.
6. وزارة التربية الوطنية ((2003): الإطار المرجعي العام للبرامج
7. وزارة التربية الوطنية (2008): النشرة الرسمية للتربية الوطنية (عدد خاص)، القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم 08-04 المؤرخ في 23 جانفي 2008، الجزائر.
8. وزارة التربية الوطنية (2004): منهاج التربية التحضيرية مديرية التعليم ، الجزائر.
9. وزارة التربية الوطنية (2006): الخصائص النمائية لأطفال التربية التحضيرية وتطبيقاتها التربوية، مديرية التعليم الأساسي، طبعة اليونسيف، الجزائر.
10. وزارة التربية الوطنية، تدابير خاصة بالتربية التحضيرية، أفريل 2008، الجزائر.
11. اليونسكو (2000): التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع.
12. اليونسكو (2007): التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع.
13. اليونسكو (2008): التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع.
14. DE LANDSHEERE, V (1992) : DE L'EDUCATION A LA FORMATION. PUF. PARIS
15. LÚCIA HELENA CAVAZIN ZABOTTO PULINO (2012): L'ENFANCE, LE TEMPS ET LA PHILOSOPHIE –QUELQUES REFLEXIONS IN REPENSER L'ENFRANCE ? S/D DE ALAIN KERLAN ET LAURENCE LOEFFEL. HERMANNEDITEURS PARIS.
16. ROEGIERS, X, col, J.M DE KETELE (2004) : UNE PEDAGOGIE DE L'INTEGRATION – COMPETENCES ET INTEGRATION DES ACQUIS DANS L'ENSEIGNEMENT – EDITIONS DE BOECK – BRUXELLES

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com